بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ [الجن:٦]

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**)) رواه مسلم.[١١٥]

مقصود هذا الباب التحذير من الاستعاذة بغير الله تعالى، وبيان أنها من الشرك، وبيان أن الواجب على العبد أن يستعيذ بالله تعالى الذي بيده الأمر كله، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

والاستعاذة: استفعال من العوذ، والعوذ هو: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧][١١٦]

فالاستعاذة هي: الالتجاء إلى الغير لدفع وقوع المكروه.

والاستعاذة نوعان: استعاذة جائزة، واستعاذة ممنوعة.

- **فالنوع الأول: الاستعاذة الجائزة، وتنقسم إلى قسمين:**

١١٥ . صحيح مسلم (٢٧٠٨/٥٤)، والترمذي (٣٤٣٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٢٩٥)، وابن خزيمة (٣٥٥٠)، وابن حبان (٢٦٧٥).
١١٦ . مفردات القرآن للراغب الأصفهاني(٥٩٤)

الأول: الاستعاذة بالله تعالى، وبصفاته، وهذه من أجل أنواع العبادة، وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه، والاعتصام به، واعتقاد كفايته، وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر، ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، وقوله ﷺ: ((أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي))، وقوله في دعاء الألم: ((أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِن شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحاذِرُ)).

والقسم الثاني: الاستعاذة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، فهذا جائز، مع التوكل على الله تعالى، ودليله قوله ﷺ في الفتن: ((مَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)).[١١٧]

وقد بين ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: ((فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَق بِإِبِلِه)).

وعن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأُتِي بها للنبي ﷺ فعاذت بأم سلمة.[١١٨]

- **والنوع الثاني: الاستعاذة الممنوعة.**

الاستعاذة بالأموات مطلقاً.

وهل الأصنام يطلق عليها أنها أموات؟

الجواب: نعم.

قال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢١]

قال الطبري رحمه الله: وجعلها جل ثناؤه أمواتا غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها.[١١٩]

---

١١٧ . رواه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

١١٨ . انظر: شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ضمن مجموع فتاوى الشيخ رحمه الله (٥٩/٦).

١١٩ . تفسير الطبري (٥١١/٤)

الاستعاذة بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]

وعلى هذا يُحمل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله، ولهذا نهوا عن الرقى التي لا يعرف معناها، خشية أن يكون فيها شيء من ذلك.[١٢٠]

١٢٠ . انظر: تيسير العزيز الحميد (١٥٣)

بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ. وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ الآية

وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ﴾ الآيتين

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الآية

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يُؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: ((**إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ**)).[١٢١]

مقصود هذا الباب التحذير من الاستغاثة بغير الله، أو دعاء غير الله لأن ذلك من الشرك المنافي لأصل التوحيد.

والمقصود بالاستغاثة هنا الاستغاثة المعهودة، وهي الاستغاثة بالأموات، والقبور، والجن، والاستغاثة فيما هو من خصائص الله تعالى، كالإحياء، والشفاء، ونحو ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ.

١٢١ . مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي (١٥٩/١٠)، قال الحافظ ابن كثير: هذا الحديث غريب جداً، تفسير ابن كثير (١٨٢/٣)

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الاستغاثة، وأنواعها.

الاستغاثة: طلب الغوث، والغوث إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون.[١٢٢]

فالاستغاثة هي: طلب إزالة المكروه، وهي نوعان: استغاثة جائزة، وممنوعة.

والاستغاثة الجائزة قسمان:

- **الأول:** الاستغاثة بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنعام:٩]

- **الثاني:** الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، فهذا جائز، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]

والاستغاثة الممنوعة قسمان:

١. **الاستغاثة بالأموات** مطلقاً سواءً كان الميت نبياً أو رجلاً، صنماً أو غير ذلك.

٢. **الاستغاثة بالأحياء** فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون، فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

١٢٢ . تيسير العزيز الحميد (١٥٥)

الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] [١٢٣]

الوقفة الثانية: الدعاء معناه وأنواعه.

الدعاء معناه: استدعاء العبد ربه عَزَّوَجَلَّ العناية، واستمداده إياه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلةِ البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: ((**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَة**)).[١٢٤]

والدعاء نوعان:

- **الأول**: دعاء عبادة، وهو تعبّدُ المدعو ربه طلباً لثوابه، وخوفاً من عقابه، كالمصلي والصائم والمزكي يريد بذلك الثواب والنجاة من العقاب.
- **والثاني**: دعاء مسألة، وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع، أو كشف ضر. وكلا النوعين عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى. [١٢٥]

ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، والمعنى: أن من سأل الله تعالى، فقد عبد ربه بهذا السؤال، ومن صلى وصام فإنه يلزمه أن يسأل ربه القبول والثواب.[١٢٦]

---

١٢٣ . مجموع فتاوى الشيخ العثيمين (٦/٦٠).

١٢٤ . شأن الدعاء للخطابي (٣).

١٢٥ . انظر تيسير العزيز الحميد (١٥٦)، مجموع فتاوى العثيمين (٦/٥٢)، القول المفيد للعثيمين (١/٢٦٤).

١٢٦ . انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ (١٨٠).

الوقفة الثالثة: في الفرق بين الدعاء والاستغاثة.

الفرق بين الدعاء والاستغاثة: أن الدعاء عام في كل الأحوال، والاستغاثة هي دعاء الله في حال الشِّدة، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر.

وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضاً من العقل، فإن أحداً من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكل فقراء إلى الله في كل شؤونهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ. وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٦ – ١٠٧][١٢٧]

١٢٧ . انظر: القول السديد للشيخ السعدي (٥١)

بَابُ قول الله تعالى:
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾

قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ الآية

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية

وفي الصحيح عن أنس ﷺ قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته فقال: ((كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟)) فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.[١٢٨]

وفيه عن ابن عمر ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: ((اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا))، بعد ما يقول: ((سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ))، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.[١٢٩]

وفي رواية: ((يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]))[١٣٠]

وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، فقال: ((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا

١٢٨ . رواه البخاري معلقاً(٨٣٧)، ومسلم(١٧٩١)، وأحمد (١١٩٨٧)، وابن حبان (٦٥٧٥)، والبزار (٣٢٠٤).
١٢٩ . صحيح البخاري (٤٠٦٩).
١٣٠ . صحيح البخاري ك/ المغازي (٤٠٧٠) وهذه الرواية هي في البخاري مرسلة عن سالم بن عبدالله.

شِئْتِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)).[١٣١]

مقصود هذا الباب ما يلي:

أولاً: ذكر البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله، كالاستعاذة والاستغاثة بغير الله عَزَّوَجَلَّ ولهذا جعل الترجمة لهذا الباب نفس الدليل.

ثانياً: بيان حال المدعوين من دون الله أنهم لا ينفعون ولا يضرون، حتى ولو كانوا من الملائكة والأنبياء، والصالحين، فضلاً عن أن يكون صناماً، فكل من دُعي من دون الله فهذه حاله، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].[١٣٢]

فالآية تُفيد بأن كل من عُبِدَ من دون الله لا يصلح أن يكون إلهاً من أربعة وجوه:

١. أنهم لا يستطيعون أن يخلقوا أي شيء حتى الذبابة.

٢. وأنَّهم مخلوقون مربوبون.

٣. وأنهم لا يستطيعون نصر الداعين لهم.

٤. وأنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم.[١٣٣]

وأكرم الخلق وأقرب الناس منزلة وأفضل الأنبياء محمد ﷺ لم يستطع دفع الضُر عن نفسه ولا عن أصحابه يوم أحد، فإذا كان حاله كذلك فكيف يُعبد الرسول ﷺ من دون الله تعالى؟! ولاشك أن غيره من باب أولى.

---

١٣١ . صحيح البخاري (٤٧٧٠)، وصحيح مسلم (٢٠٨).

١٣٢ . تيسير العزيز الحميد (١٨٢).

١٣٣ . انظر التعليق المفيد لشيخنا ابن باز (٩٥)، القول المفيد لشيخنا العثيمين (٢٨٦/١).

بَابُ قول الله تعالى:
﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ))، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ – وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ – فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ)).[١٣٤]

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ: رَعْدَةً شَدِيدَةً، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتُ صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرَئِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلاَئِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرَئِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرَئِيلُ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرَئِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرَئِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ)).[١٣٥]

---

١٣٤ . رواه البخاري (٩٨٣/ ٤٧٠١)

١٣٥ . رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١٤٤)، والطبري في التفسير (٢٨٨٤٩). وهذا الحديث أُعل بعلتين: الأولى: ضعف نعيم بن حماد. والثانية: عنعنة شيخه الوليد بن مسلم وهو مدلس. والحديث ضعفه غير واحد من أهل العلم، كالشيخ الألباني رحمه الله.

مقصود هذا الباب الرد على جميع فرق المشركين الذين يدعون مع الله غيره ممن لا يداني حاله حال الملائكة، ولا يساويهم في صفة من صفاتهم.

وكما هو معلوم أن الملائكة هم أقوى وأعظم من عُبد من دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى، وهيبتهم منه، وخشيتهم له، فكيف يدعوهم أحد من دون الله؟ وغيرهم ممن لا يقدر على شيء، من الأموات، والأصنام أولى أن لا يُدعى ولا يُعبد.[١٣٦]

ولعل من المناسب ذكر مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في الملائكة: أنهم عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩]

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، كجبريل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل، فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق، وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه، جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل وفتور.[١٣٧]

---

١٣٦ . تيسير العزيز الحميد (١٩٣) باختصار

١٣٧ . انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين (٨٧/٦)، وعالم الملائكة الأبرار للأشقر.

اَلشَّفَاعَةِ

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلا فِى الْأَرْضِ﴾ الآيتين.

قال أبو العباس: نفي الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ: ((**أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَد**))، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم قال له: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.[١٣٨]

١٣٨ . رواه البخاري (٧٤١٠) و مسلم (١٩٣)

وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: ((**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**)).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه رحمه الله.

مقصود هذا الباب إقامة الحجج على من وقع في الشرك بسبب تعلقهم بالشفاعة وغلوهم فيها، حتى صار حالهم كحال أهل الجاهلية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الشفاعة وأقسام الناس فيها.

الشفاعة في اللغة: مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر، وهو جعل الوتر شفعاً، مثل أن تجعل الواحد اثنين.

وشرعاً: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

والناس في الشفاعة على ثلاثة أصناف:

الأول: من غلا فيها، وهم القبوريون من هذه الأمة.

الثاني: من أنكرها، وهم المعتزلة والخوارج.

الثالث: أهل السنة، اثبتوا الشفاعة ولكن بشرطين:

إذن الله تعالى في الشفاعة.

ورضا الله تعالى عن الشافع، والمشفوع، لقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:٢٦]

الوقفة الثانية: في أقسام الشفاعة.

تنقسم الشفاعة إلى قسمين:

- **الأول**: شفاعة مثبتة أثبتها الشرع، وهذه الشفاعة تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وهي على أنواع منها:

الشفاعة العظمى، وهي شفاعته لأهل الموقف يوم القيامة بالحساب. [١٣٩]

شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.[١٤٠]

شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها، ودليل ذلك ما رواه مسلم عن أنس مرفوعاً:

١٣٩ . أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

١٤٠ . أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

((أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ))[١٤١]. وفيه أيضاً: ((آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ , فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ)).[١٤٢]

شفاعته في رفع درجات بعض أهل الجنة، قال بعض أهل العلم إن هذه ليست خاصة بالنبي ﷺ بل يشاركه فيها الأنبياء والملائكة والصالحين.

النوع الثاني: الشفاعة العامة، وهي التي تعم الجميع ممن يأذن الله له في الشفاعة من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، وهي شفاعتهم في بعض من دخل النار من الموحدين أن يخرجوا منها ويدخلوا الجنة.

- **القسم الثاني**: الشفاعة المنفية: وهي الشفاعة التي أبطلها القرآن مما كان فيها شرك، كما نقل المؤلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الوقفة الثالثة: في الأسباب التي تُنال بها شفاعة النبي ﷺ.

١. السلامة من الشرك، قال ﷺ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)).[١٤٣]

٢. تحقيق التوحيد، ودليل ذلك قوله عندما سُئل ﷺ عن أسعد الناس بشفاعته قال: ((مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)).[١٤٤]

---

١٤١ . صحيح مسلم (١٩٦).
١٤٢ . صحيح مسلم (١٩٧).
١٤٣ . رواه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).
١٤٤ . سبق تخريجه.

٣. سؤال الوسيلة له عليه الصلاة والسلام بعد الأذان، ودليل ذلك حديث مسلم عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ تَعَالَى لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)).[١٤٥]

٤. الصلاة على النبي ﷺ صباحاً ومساءً عشر مرات، ودليل ذلك قوله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).[١٤٦]

٥. سكنى المدينة النبوية والصبر على ذلك، قال ﷺ: ((لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا)).[١٤٧]

٦. الموت في المدينة النبوية، لقوله ﷺ: ((مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا؛ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا)).[١٤٨]

١٤٥ . مسلم (٣٨٤).

١٤٦ . رواه الطبراني كما في المجمع (١٠/١٢٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٥٧).

١٤٧ . رواه مسلم (١٣٧٨).

١٤٨ . أخرجه الترمذي (٣٩١٧)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٠١٦).

بَابُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المغِيرَةِ وَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: ((أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)) فَقَالاَ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِي ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: ((لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ)) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.[١٤٩]

وفي (الصحيح) عن ابن المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَعِنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فَأَعَادَا فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله عز وجل(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ (٠٦) الآية. وأنزل الله في أبي طالب: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء) (١٦).

١٤٩ . رواه البخاري (٦/ ١١٢)، ورواه مسلم (٢٤).

مقصود هذا الباب الرد على عباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون فيسألونهم مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وهداية القلوب، وغير ذلك من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية، ويعتقدون أن لهم التصرف بعد الموت على سبيل الكرامة.

إن في عدم قدرة النبي ﷺ على هداية عمه أبي طالب مع شدة حرصه على ذلك، دلالة واضحة على أن الأمر كله لله تعالى، فهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فمن سأل الله تعالى آتاه سُؤله، ومن سأل غيره، فإن الله تعالى يكِلُهُ إلى ذلك الغير، الذي لا يملك من الأمر شيئاً.

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الهداية وأنواعها.

الهداية هي: الدلالة والإرشاد، قال الراغب: هي الدلالة بلطف.[١٥٠]

وهي نوعان:

الأول: هداية دلالة وإرشاد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فهذه يملكها النبي ﷺ، وكذلك هي لكل من دعا إلى الله على بصيرة.

الثاني: هداية توفيق وامتنان، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] فهذه لا يملكها أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى.

١٥٠ . انظر القاموس المحيط (١٧٣٣)، مفردات القرآن للراغب (٨٣٥).

الوقفة الثانية: في بيان هداية الله تعالى للإنسان.

هداية الله للإنسان على أربعة مراتب:

الأولى: الهداية التي عَمَّ بجنسها كل مكلف من: العقل، والفطرة، والمعارف الضرورية، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]

الثانية: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء والرسل، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]

الثالثة: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقوله: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ ونحو ذلك من الآيات.

الرابعة: الهداية في الآخرة إلى الجنة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥] أي: إلى الجنة، وهو أحد الأوجه الأربعة في تفسير الآية، ومنه قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].[١٥١]

---

١٥١ . مفردات القرآن للراغب، بتصرف (٨٣٥-٨٣٦)

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾

في الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]؛ قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت.[١٥٢]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.[١٥٣]

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**)) أخرجاه.[١٥٤]

قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ**)).[١٥٥]

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: ((**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**)) قَالَهَا ثَلَاثًا.[١٥٦]

---

١٥٢ . صحيح البخاري (٤٩٢٠).

١٥٣ . إغاثة اللهفان لابن القيم (١/١٩٠).

١٥٤ . رواه البخاري (٣٤٤٥) دون مسلم.

١٥٥ . رواه أحمد (٣٢٤٦)، والنسائي (٣٠٥٧) وابن ماجه (٣٠٢٩)، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين (٤/٥٠٢)، والشيخ ابن باز في التعليق المفيد على كتاب التوحيد (١١٥).

١٥٦ . صحيح مسلم (٧/٢٦٧٠).

مقصود هذا الباب التحذير من الغلو، وبيان أنه سبب يُوقع في الكفر، ويُؤدي إلى ترك الدين، كما حصل لقوم نوح عندما غلو في صالحيهم، وقعوا في الكفر، فعُبدت تلك التماثيل من دون الله، والحال نفسه عند النصارى عندما غلوا في نبيهم عيسى ﷺ.

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الغلو وأقسامه.

الغلو من الغلاء، وأصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء، قال الطبري رحمه الله: وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حدِّه الذي هو حدّه.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: الغلو مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في مدحه، أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك.[١٥٧]

وقال السعدي رحمه الله: الغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مُشارك، هو الكمال المطلق، والغِنَى المطلق، والتصرف المطلق من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحدٌ سواه.[١٥٨]

والغلو قسمان:

الأول: غلو اعتقادي، كغلو النصارى في عيسى عليه السلام، وغلو الرافضة في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وغلو الخوارج في التكفير بالمعاصي.

الثاني: غلو عملي، وهو متعلق بالأمور العملية التفصيلية من قول اللسان، أو

١٥٧ . انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٣٤٣)، تفسير الطبري (٤/٣٧٣)، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/٢٨٩).
١٥٨ . القول السديد للسعدي (٦٦).

عمل الجوارح مما لا يكون فرعاً عن عقيدة فاسدة، مثل المبالغة في الحصى الذي يُرمى بِه الجمار، والوصال في الصيام، وقيام الليل كله، ونحو ذلك من المبالغة في العبادات، وترك الاتباع لسنة النبي ﷺ.[١٥٩]

الوقفة الثانية: أقسام الناس في معاملة الصالحين.

الناس في معاملة الصالحين على ثلاثة أقسام:

١. أهل الجفاء الذين يهضمون الخلق حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة والتوقير.

٢. أهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

٣. أهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية،ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم. والصالحون أيضاً يتبرؤون من أن يدَّعوا لأنفسهم حقاً من حقوق ربهم الخاصَّة، كما قال الله عن عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].[١٦٠]

الوقفة الثالثة: في حكم الغلو.

الغلو أمر محرم، وهو من الكبائر، والذي يدل على كونه من الكبائر قوله ﷺ: ((مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))، وذلك عندما رأى غلو بعض الصحابة في جانب التعبد.

١٥٩ . انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢٨٩/١)، الغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق (٧٠)، بدع الاعتقاد لمحمد الناصر (٩٥).
١٦٠ . القول السديد للسعدي (٦٨).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في سياق ذكره للكبائر: ومنها الغلو في المخلوق حتى يتعدى به منزلته، وهذا قد يرتقي من الكبيرة إلى الشرك.[١٦١]

وقد بين النبي ﷺ أن الغلو سبب من أسباب هلاك الأمم، وهلاك المتنطعين أيضاً في الدنيا والآخرة.

والمتنطعون: هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع، وهو: الغار الأعلى للفم، ثم استُعمل في كل تَعَمُّق قولاً وفعلاً.[١٦٢]

ويحتمل هلاكهم في الدنيا والآخرة، وبهذا يتبين مراد المصنف من ذكر الحديث، وهو أن التنطع منافٍ للتوحيد، ومن أسباب هلاك الأمم.[١٦٣]

١٦١ . أعلام الموقعين (٤/٥٠٢).
١٦٢ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٦٣).
١٦٣ . إكمال المعلم للقاضي عياض (٨/١٦٤).

بَابُ: مَا جَاءَ مِنَ اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اَللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ؟!

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور! فقال: ((أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ)).[١٦٤]

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتنم بها كشفها فقال وهو كذلك: ((لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ))، يُحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً. أخرجاه.[١٦٥]

ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ)).[١٦٦]

١٦٤ . صحيح البخاري (٤٢٧)، وصحيح مسلم (٥٢٨).

١٦٥ . صحيح البخاري (٤٣٦)، وصحيح مسلم (٥٢٩)؛ تنبيه: قوله [ولولا ذلك أبرز قبره...] ليس في الصحيحين.

١٦٦ فائدة: استشكل بعض أهل العلم ذكر النصارى فيه، لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبينا ﷺ نبي غيره وليس له قبر. والجواب: من وجوه:

الأول: أنه كان فيهم أنبياء أيضاً لكنهم غير مرسلين.

الثاني: أن الجمع في قوله: ((أنبيائهم))، بإزاء المجموع من اليهود والنصارى، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم فاكتفى بذكر الأنبياء، ويؤيده رواية مسلم من طريق جندب: ((كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد))، ولهذا لما أفرد النصارى في الحديث الذي قبله قال: ((إذا مات فيهم الرجل الصالح))، ولما أفرد اليهود في الذي بعده قال: ((قبور أنبيائهم)).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكلُ موضعٍ قُصدت الصلاةُ فيه فقد اُتخذ مسجداً، بل كل موضع يُصلى فيه يُسمى مسجداً، كما قال ﷺ: ((جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)).

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ))، ورواه أبو حاتم في صحيحه.[١٦٧]

مقصود هذا الباب التحذير من الافتتان بالقبور، وأنت ترى أن المؤلف رحمه الله كثيراً ما يحذر من فتنة القبور، ولذلك حذَّر منها في أبواب مختلفة، وذلك ليكون أوقع في القلب، وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب، فإذا كان قصد قبور الصالحين لعبادة الله عندها فيه من النهي والوعيد ما سيمر بك، فكيف بعبادة أربابها من دون الله تعالى؟!

ولا يشك عاقل أن فتنة القبور قديماً وحديثاً قد أضرت بهذه الأمة أيما ضرر !!!

فعباد القبور وقعوا في الشرك من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].[١٦٨]

الثالث: أن المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداعاً أو اتباعاً، فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود. انظر فتح الباري لابن حجر (١/٦٣٤). صحيح مسلم (٥٣٢).

١٦٧ . أخرجه أحمد في المسند (٣٨٤٤)، و ابن خزيمة (٨٧٩)، و ابن حبان (١٩٢٠).

١٦٨ . انظر تيسير العزيز الحميد (٢٣٤).

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان المشروع والممنوع عند زيارة القبور.

ما يُفعل عند قبور الصالحين وغيرهم نوعان: مشروع، وممنوع.

النوع الأول: وهو المشروع، وهي زيارة الموحدين: زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شد رحلٍ؛ وهي زيارة الموحدين، ومقصودها ثلاثة أشياء:

١. تذكر الآخرة، والاعتبار والاتعاظ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: ((**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**)).

٢. الإحسان إلى الميت بالدعاء والاستغفار له، تأسياً بالنبي ﷺ، ففي الصحيح عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذا خَرَجُوا إِلى المقابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُم: ((**السَّلامُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ العافِيَةَ**)).[١٦٩]

٣. إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ فيُحسن على نفسه بذلك.[١٧٠]

النوع الثاني: الممنوع وهي الزيارة الشركية، ولها حالتان:

أحدهما: محرم ووسيلة للشرك، كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها، وإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها، وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

---

١٦٩ . أخرجه مسلم (٩٧٥).

١٧٠ . إغاثة اللهفان لابن القيم (١/٢٢٣).

الحالة الثانية: شرك أكبر، كدعاء أهل القبور، والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم، ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن المشركين يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].[١٧١]

الوقفة الثانية: في مراتب البدع عند القبور.

الأمور المبتدعة عند القبور مراتب:

المرتبة الأولى: وهي أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت، أو الغائب، كما يتمثل لعباد الأصنام.

وهذا يحصل للكفار من المشركين، وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وكذلك السجود للقبر، والتمسح به وتقبيله.

الثانية: أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد زيارته، والصلاة عنده، لأجل طلب حوائجه. فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين، وإن

١٧١ . انظر القول السديد للسعدي (٧٠).

كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك، ويقول بعضهم: قبر فلان ترياقٌ مجرب.[١٧٢]

الوقفة الثالثة: في بيان الهدي النبوي المتعلق بالقبور.

نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واشتد نهيه في ذلك حتى لعن فاعله، ونهى عن الصلاة إلى القبور، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً، ولعن زوَّرات القبور.

وكان هديه أن لا تهان القبور وتُوطأ، وألا يُجلس عليها، ويُتكأ عليها، ولا تُعظَّم بحيثُ تُتَّخذُ مساجد فيُصلَّى عندهَا وإليها، وتتخذ أعياداً وأوثاناً.

ولم يكن من هديه ﷺ تعلية القبور، ولا بناؤها بآجرٍّ، ولا بحجر ولَبِنٍ، ولا تشييدها، ولا تطيينها، ولا بناء القباب عليها، فكل هذا بدعة مكروهة، مخالفة لهديه ﷺ.

وقد بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن، ألا يدع تمثالاً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً إلا سواه، فسنته ﷺ تسوية هذه القبور المشرفة كلِّها، ونهى أن يجصص القبر، وأن يُبنى عليه، وأن يُكتب عليه.

وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبرُه ﷺ مُسنَّم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين، وهكذا كان قبر صاحبيه. وكان يُعلم قبرَ مَنْ يُريدُ تعرَّفَ قَبرِه بصخرة.[١٧٣]

---

١٧٢ . انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢٢٢).

١٧٣ . رواه أبو داود في السنن (٣٢٠٦) ومن طريقه البيهقي (٣/٣١٢) بسند حسن، (١/٥٢٥)؛ وانظر: زاد المعاد (١/٥٢٤).

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اَللَّهِ

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: ((اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)).[١٧٤]

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.[١٧٥]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن.[١٧٦]

مقصود هذا الباب فيما يظهر هو ذكر النصوص التي تُبين عناية الشريعة بحفظ جناب التوحيد، حيث أن نصوص الباب تتضمن الآتي:

أولاً: التحذير من الغلو في قبور الصالحين.

ثانياً: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها، فأهل الجاهلية إنما عبدوا اللات بعدما غلو فيه، فعكفوا على قبره أولاً، ثم عبدوه بعد ذلك، وهذه من حيل الشيطان ببني آدم.

---

١٧٤ . رواه مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلًا، وقد تكلم الحافظ ابن عبدالبر على الحديث في التمهيد(٥/١٧٥)وقال: فهذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند، لإسناد عمر بن محمد له، وهو ممن تقبل زيادته.والذي يظهر أن الحديث من طريق مالك ضعيف، ولكن له شاهد صحيح عند الإمام أحمد في المسند من طريق أبي هريرة مرفوعاً: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد((؛ والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند(١٣/٨٨/٧٣٥٢).

١٧٥ . رواه البخاري، ك/التفسير، باب ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾.

١٧٦ . رواه أبو دواد، ك (٣٢٣٦)، والترمذي، (٣٢٠) وقال: حديث حسن. وقد أُعل هذا الحديث بأن في إسناده أبو صالح مولى أم هاني.

ثالثاً: أنها إذا عُبدت سُميت أوثاناً، ولو كانت قبور صالحين، كما قال ﷺ: ((**اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ**)).

رابعاً: بيان أن الشريعة جاءت بسد كل الوسائل المفضية إلى الشرك.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**)) رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات.[١٧٧]

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُ**)) رواه في المختارة.[١٧٨]

مقصود هذا الباب بيان حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد، وإن كان كل ما تقدم هو من حمايته ﷺ للتوحيد، إلا أنَّ المصنف ذكر في هذا الباب حماية خاصة منه ﷺ للتوحيد.[١٧٩]

وكيف لا يحمي ﷺ جناب التوحيد وهو الموصوف في كتاب الله تعالى بقوله:

---

١٧٧ . سنن أبي داود (٢٠٤٢)؛ قال الحافظ ابن عبدالهادي: الحديث حسن جيد الإسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى الصحة، كما في عون المعبود عون المعبود (٦/٢٤)، وصححه النووي في المجموع(٨/٢٠٣).وقد جود إسناده الشيخ سليمان في شرحه (٢٦٠)، وصححه الألباني في صحيح السنن.

١٧٨ . رواه ابن أبي شيبة في مصنفة (٧٥٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٤٦٧)، وجود إسناده صاحب التيسير(٢٦٠).

١٧٩ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٥٥).

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

فهل يليق بمن هذا نعته في القرآن أن يترك الأمة تقع في الشرك الذي يبعدها عن الله ويسبب لها دخول النار والخلود فيها؟ !

ومن ذرائع الشرك التي سدَّها ﷺ حماية للتوحيد ما يلي:

١. نهيه ﷺ عن تعطيل البيوت من الصلاة، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، وأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، وهذا عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومن تشبه بهم من هذه الأمة.

٢. نهيه ﷺ عن زيارة قبره على وجه مخصوص، واتخاذها عيداً، فلا يُتردد على قبره في وقت معين محدد من السنة، أو الشهر، أو الإسبوع.

٣. أمره ﷺ لمن أراد السلام عليه أن يسلم حيث كان، وأخبر أن سلامه سيبلغه.

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: ((فَمَنْ؟)) أخرجاه.[١٨٠]

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)).[١٨١]

---

١٨٠ . رواه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩)، بلفظ: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)). وليس فيهما لفظ المصنف، ويظهر أنه نقله عن شيخ الإسلام كما في اقتضاء الصراط المستقيم فإنه ذكر الحديث بهذا اللفظ وعزاه للصحيحين.

١٨١ . مسلم (٢٨٨٩).

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: ((وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)).[١٨٢]

الذي يظهر والعلم عند الله أن المصنف أراد من هذا الباب الرد على عباد القبور الذين يفعلون الشرك، ويقولون: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة المحمدية، ما داموا يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فبين في هذا الباب من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، ما يدل على وقوع الشرك وتنوّعه في هذه الأمة، ورجوع كثير منهم إلى عبادة الأوثان، وإن كانت طائفة منها على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ﷻ.[١٨٣]

وقول من يقول بأن هذه الأمة لا تقع في الشرك استدلالاً بحديث جابر أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)).[١٨٤]

جوابه: أن غاية ما فيه أن النبي ﷺ أخبر بيأس الشيطان، عندما رأى دخول الناس في دين الله أفواجاً، ولكن الواقع لا يلزم أن يكون موافقاً لما ظنه الشيطان، بل إن الأمر وقع بخلافه.[١٨٥]

والأدلة التي ذكرها المصنف في بيان وقوع الشرك في هذه الأمة مبنية على أصلين:

---

١٨٢ . رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وإسناده صحيح.

١٨٣ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٦٥).

١٨٤ . صحيح مسلم (٢٨١٢).

١٨٥ . انظر: القول المفيد لشيخنا العثيمين (٤٦٧/١).

الأصل الأول: الجزم بوقوع اليهود والنصارى في الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]

والأصل الثاني: أن هذه الأمة ستفعل ما فعله أهل الكتاب حتى الشرك.

يَدُلُّ على ذلك ما يلي:

أولاً: شِدة متابعة هذه الأمة لأهل الكتاب فيما وقعوا فيه من مخالفة دين الله عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في أحاديث منها:

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ((**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامِعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ**)).[١٨٦]

عن المستورد بن شداد عن النبي ﷺ: ((**لَا تَتْرُكُ هَذِهِ الْأُمَّةُ شَيْئًا مِنْ سَنَنِ الْأَوَّلِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُ**)).[١٨٧]

قول النبي ﷺ: ((**لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حُلْوَهَا وَمُرَّهَا**)).[١٨٨]

ثانياً: التنصيص من النبي ﷺ على أنها ستقع في الشرك، كما في أحاديث الباب التي ذكرها المصنف.

---

١٨٦ . مستدرك الحاكم ك/ الإيمان (٤/٤٥٥) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٠٦٧).

١٨٧ . مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي (٤٣٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢١٩).

١٨٨ . والحديث صححه الحافظ في فتح الباري (١٣/٣١٤)

بَابُ: مَا جَاءَ فِي اَلسِّحْرِ

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾

قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد.[١٨٩]

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**)) قَالُوا: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**)).[١٩٠]

وعن جندب مرفوعاً: ((**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**)) رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.[١٩١]

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عَبَدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كلَّ ساحر وساحرةٍ، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.[١٩٢]

---

١٨٩ . أورده البخاري معلقاً بصيغة الجزم، ك / التفسير، باب (وإن كنتم مرضى أو على سفر).

١٩٠ . رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

١٩١ . أخرجه الترمذي، (١٤٦٠) وقال: (هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري، قال وكيع: هو ثقة، ويروي عن الحسن أيضاً، والصحيح عن جندب موقوف) والحديث ضعفه البيهقي في الكبرى (٨/٢٣٤)، وابن العربي في عارضة الأحوذي (٦/١٩٤)، والحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٢٣٦).

١٩٢ . رواه أبو داود (٣٠٤٣)، وصححه الألباني.

وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت.[١٩٣]

وكذلك صح عن جندب.[١٩٤]

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ.

مقصود هذا الباب التحذير من السحر، لأن السحر من عمل الجاهلية، فيجب على كل من أراد تحقيق التوحيد، والسعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة أن يحذر من السحر وأهله، فإن الثمن دين الإنسان وعقيدته، وقد حذر النبي ﷺ أمته من السحر وأهله، وبيّن أنه شرك وكفر وأنه برئ من السحرة، والذين يروجون بضاعتهم الكفرية.

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى السحر.

السحر في اللغة: اسم لما لطُفَ وخَفِي سببه، وقيل: صرف الشيء عن وجهه.[١٩٥]

والسحر نوعان:

الأول: سحر بالعقد والنفث والرقى، والأدوية الضارة.

والثاني: سحر بالتخييل والتزوير، وهو سحر قوم موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦]

---

١٩٣ . رواه مالك في الموطأ بلاغاً عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/٢٣٤/١٦٤٩٩).انظر: الموطأ مع شرحه للزرقاني (٤/٢٤٩/١٦٨٩).

١٩٤ . رواه البيهقي في الكبرى(٨/٢٣٤/١٦٥٠١)، من طريق خالد الحذاء، عن أبي عثمان قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانًا وأبان رأسه، فعجبنا فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله.

١٩٥ . انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/٤٩)، نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (١٥٧)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٣١٢).

والصحيح أن السحر كلُه كفرٌ أكبر، لأن الساحر لا يكون ساحراً إلا بالشرك بالله، واستخدام الشياطين وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن تعلم السحر لا يكون إلا بإهانة القرآن، ونحو ذلك من الأعمال الكفرية.

وعلى هذا فإن السحر بأنواعه يُعتبر كفراً أكبر، وشركاً بالله تعالى.

أما أعمال الشعوذة والدجل فإنها لا تُسمى سحراً في الاصطلاح الشرعي، وإن كان في اللغة تسمى سحراً.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: فتحصل أن السحر بجميع أنواعه فيه استخدام للشياطين واستعانة بها، والشياطين لا تخدم إلا من تقرَّب إليها بالذبح، أو الاستعانة، أو الاستغاثة ونحو ذلك؛ فالسحر إذاً شرك بالله تعالى، وكل ساحر مشرك.[١٩٦]

الوقفة الثانية: ما جاء من الوعيد في السحر.

جاء عن النبي ﷺ في الترهيب والتحذير من السحر وأهله ما يلي:

تبرأ النبي ﷺ من الساحر وطالب السحر، فقد روى البزار عن عمران بن حصين مرفوعاً: ((**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً** - أَوْ قَالَ: مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً - **وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ﷺ)).[١٩٧]

أن السحر من الموبقات، قال ﷺ: ((**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ((**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**)).[١٩٨]

---

١٩٦ . التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٠٠).

١٩٧ . مسند البزار (٣٠٤٤)، قال المنذري في الترغيب: إسناده جيد (٤٤٦٧)، وصححه الألباني برقم (٣٠٤١).

١٩٨ . سبق تخريجه.

أن السحر من أكبر الكبائر يوم القيامة، روى ابن حبان من حديث عمرو بن حزم ﷺ في كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن وفيه: ((وَإِنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَالْفِرَارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَرَمْيُ الْمُحْصَنَةِ، وَتَعَلُّمُ السَّحَرِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ)).[١٩٩]

أن أهل السحر لا يدخلون الجنة، روى ابن حبان عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ)).[٢٠٠]

الوقفة الثالثة: في حكم الساحر.

اختلف أهل العلم في حدِّ الساحر:

القول الأول: أن حدَّه القتل، وهذا مروي عن جماعة من الصحابة، وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية. قال ابن القيم رحمه الله: وصح عن عمر ﷺ أنه قتله، وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها قتلت مدبَّرة سحرتها.[٢٠١]

والقول الثاني: أنه يُسأل عن سحره، فإن اعترف معه بما يُوجب القتل قُتل، وإلا لم يُقتل وبهذا قال الشافعي وأحمد في رواية.[٢٠٢]

١٩٩ . ابن حبان في صحيحه (٦٥٥٩) قال الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٤٣): صحيح لغيره.
٢٠٠ . ابن حبان في صحيحه (٥٣٤٦)، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب برقم (٣٠٥٠).
٢٠١ . زاد المعاد (٦٢/٥).
٢٠٢ . انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٩٦/١٣)، والمغني لابن قدامة (٣٠٢/١٢)، والإنصاف للمرداوي (٢٦٤/١٠).

بَابُ: بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ)).

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض. والجبت، قال الحسن: رنَّة الشيطان؛ إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.[٢٠٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، قَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ)) رواه أبو داود، وإسناده صحيح.[٢٠٤]

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ)).[٢٠٥]

---

٢٠٣ . أخرجه أحمد (١٥٩١٥)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والبغوي (٣١٤٩)، وابن حبان (٦٠٩٨) وحسنه النووي في رياض الصالحين (٤٦٩).
فائدة: قوله: قال الحسن: رنة الشيطان. قال صاحب التيسير: لم أجد فيها كلاماً.قال شيخنا عبدالله الجبرين في فوائده على كتاب التوحيد (٧٧): رجعنا إلى مسند الإمام أحمد فوجدنا بدل الراء ألفاً، وبدل التاء المربوطة هاء.فقراءتها في المسند: والجبت، قال الحسن: إنه الشيطان. وهذا هو الأقرب أن الجبت هو الشيطان فتفسير الحسن أن الجبت هو الشيطان أقرب، والحاصل أن الجبت هو الشيطان، ويفسر أيضاً بأنه من عمل الشيطان.
أقول: لعل المصنف تابع الإمام ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/٣٦٥)، حيث أنه ذكر الحديث بسنده ثم ذكر تفسير عوف، وقول الحسن: رنة الشيطان، كما عند المصنف نصاً. والذي يظهر لي أن صوابه هو، قال الحسن: إنه الشيطان.
٢٠٤ . رواه أبو داود (٣٩٠٥)، و ابن ماجه (٣٧٢٦) وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٥/١٦٦).
٢٠٥ . أخرجه النسائي (٤٠٧٩)، قال الشيخ الألباني: وإسناده ضعيف، وله علتان: الأولى: الانقطاع بين الحسن وأبي هريرة، وبه أعله المنذري في الترغيب، فقال: ((لم يسمع منه عند الجمهور، وفاته علة أخرى وهي: الثانية: عباد بن ميسرة المنقري، قال الحافظ: لين الحديث.وللجملة الأخيرة شاهد، انظر: غاية المرام للشيخ الألباني (١٤٢/ رقم ٢٨٨).

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**)) رواه مسلم.[٢٠٦]

ولهما عن ابن عمر ﷺ،أن رسول الله ﷺ قال: ((**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**)).[٢٠٧]

مقصود هذا الباب بيانُ أنواعٍ من السحر بحسب مرجعها من الحقيقة العرفية واللغوية والشرعية.

والأصل أن السحر إذا أُطلق في النصوص الشرعية فإن المراد به الشرك الأكبر، وفي بعض ألفاظ الشرع إطلاقُ لفظِ السحر على بعض الأمور كالعيافة والبيان، وهذه الأمور ليست كالسحر الذي سبق بيانه في الباب السابق، لا في الحد، ولا في الحقيقة، ولا في الحكم.

وأنواع السحر التي ذكرها المؤلف هي كالآتي:

النوع الأول: العيافة، وقد فسرها عوف الأعرابي بأنها زجر الطير.

قال ابن الأثير في بيان معنى العيافة: هو التيمُّن والتشاؤُم بها، والتفوّل بطيرانها كالسانح والبارح، وهو نوع من الكهانة والعيافة.[٢٠٨]

ووجه كون العيافة من السحر: أن السحر شيء خفي يؤثر في النفوس، والعيافة من التأثر بالطير وبزجرها وبانتقالها من هنا إلى هنا أو بحركتها، شيء خفي دخل في النفس

٢٠٦ . صحيح مسلم (٢٦٠٦) قال النووي: هذه اللفظة (العضه) رووها على وجهين: أحدهما: العِضَه، بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العدة والزنة.والثاني: العَضْه، بفتح العين، وإسكان الضاد، على وزن الوجه، وهذا الثاني هو الأشهر في روايات بلادنا والأشهر في كتب الحديث و الغريب، والأول أشهر في كتب اللغة، ونقل القاضي أنه أكثر روايات شيوخهم.وتقدير الحديث: ألا أنبئكم ما العضه، الفاحش الغليظ التحريم؛ شرح مسلم (١٦/١٣٠).

٢٠٧ . صحيح البخاري (٥٧٦٧)، ومسلم (٤٧/٨٦٩)

٢٠٨ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٢٦٩)

فأثر فيها من جهة الإقدام أو الكف، فكانت نوعاً من السحر لأجل ذلك.[٢٠٩]

النوع الثاني: الطرق، وقد فسره عوف بالخط يُخط في الأرض. وقال الخطابي رحمه الله: وأما الطرق، فإنه الضرب بالحصى، ومنه قول لبيد: [٢١٠]

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ووجه كون الطرق من السحر: أن الطرق نوع من أنواع الكهانة، والكهانة ضرب من السحر.

النوع الثالث: الطيرة، وهي تحريك الطير يميناً أو يساراً تفاؤلاً أو تشاؤماً، والطيرة نوع من أنواع التأثيرات الخفية على القلوب، ولذلك تعتبر من السحر.

النوع الرابع: التنجيم، ومعناه: اعتقاد أن النجوم تؤثر في الكون، كما قال شيخ الإسلام: هو نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية.[٢١١]

النوع الخامس: العقد والنفث، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، والسحرة يستعينون على سحرهم بالنفث في العقد التي يعقدونها على السحر، قال ﷺ: ((**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ**)).

النوع السادس: النميمة، هي: نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم؛ وهي من كبائر الذنوب، وسُمي عمل النمام سحراً لأنه يعمل عمل السحر، قال ﷺ: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**))، والعضه في لغة قريش: السحر.[٢١٢]

قال يحيى بن معاذ: النَّمام أشرُّ من الساحر، ويعمل النَّمام في ساعة ما لا يعمله الساحر في شهر.[٢١٣]

---

٢٠٩ . التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ (٣٠٨)

٢١٠ . معالم السنن للخطابي (٤/٢١٤)

٢١١ . إعانة المستفيد للفوزان (١/٤٩٥)

٢١٢ . انظر: معارج القبول للحكمي (٢/٧٠٩).

٢١٣ . تذكرة أولي البصائر لابن الجوزي (٢٥٠).

قال أبو بكر الجصاص الحنفي: وقد حُكي أن امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين فصارت إلى الزوجة فقالت لها: إن زوجكِ معرضٌ وقد سُحِرَ وهو مأخوذٌ عنك وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك ولا ينظر إلى سواكِ، ولكن لابد أن تأخذي من شعر حلقه بالموسى ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها، فإن بها يتمُّ الأمر! فاغترت المرأة بقولها وصدقته. ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له: إن امرأتك قد علقت [أحبت] رجلاً، وقد عزمت على قتلك، وقد وقفت على ذلك من أمرها فأشفقت عليك ولزمني نصحك، فتيقظ ولا تغترّ! فإنها عزمت على ذلك بالموسى، وستعرف ذلك منها، فما في أمرها شك.

فتناوم الرجل في بيته، فلما ظنت امرأتُه أنه قد نام عمدت إلى مُوسى حادّ وهوتْ به لتحلق من حلقه ثلاث شعرات، ففتح الرجل عينه فرآها وقد هوت بالموسى إلى حلقه فلم يشكَّ في أنها أرادت قتله، فقام إليها فقتلها وقُتِل. وهذا كثير لا يحصى.[٢١٤]

النوع السابع: البيان، والبيان: البلاغة والفصاحة، قال الخطابي: البيان اثنان:

- **أحدهما**: ما تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان.

- **والآخر**: ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر إذا خلب القلب، وغلب على النفس، حتى يحول الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن جهته، فيلوح للناظر في معرض غيره؛ وهذا إذا صرف إلى الحق يمدح، وإذا صرف إلى الباطل يذم.[٢١٥]

٢١٤ . أحكام القرآن للجصاص (٥٧/١).

٢١٥ . انظر: فتح الباري (٢٤٨/١٠)، الاستذكار (٥٥٨/٨)، إكمال المعلم (٢٧٤/٣)، شرح مسلم للنووي (١٣٩/٦)، القول المفيد للعثيمين (٤٤/٢)

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا)).[٢١٦]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)) رواه أبو داود.[٢١٧]

وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن النبي ﷺ: ((مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)).[٢١٨]

ولأبي يعلي بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً.[٢١٩]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)) رواه البزار بإسناد جيد.[٢٢٠]

---

٢١٦ . صحيح مسلم، بلفظ ((من أتى عرافاً فسأله لم تقبل له صلاة أربعين ليلة))، رقم (٢٢٣٠).

٢١٧ . رواه أبو داود(٣٩٠٤)، وابن ماجه (٦٣٩)، والترمذي (١/١٧٦/١٣٥)كما في تحفة الأحوذي، قال أبو عيسى: لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة، قال: وضعف محمد هذا الحديث من قبل إسناده. وقد أُعل هذا الحديث بعلتين: الأولى: ضعف حكيم الأثرم. والثانية: الانقطاع بين أبي تميمة الهجيمي وأبي هريرة، وقد أُجيب عنهما. وبالجملة فالحديث صحيح كما صرح بذلك العراقي في أماليه، وللحديث طرق وشواهد منها ما ذكره الحافظ في الفتح (١٠/٢١٧).

٢١٨ . هذا الحديث رواه أحمد في المسند(٩٥٣٢)وصححه أحمد شاكر، والحاكم في المستدرك (١٥)وقال الذهبي: على شرطهما.
أما قول المصنف رحمه الله: وللأربعة, فالذي يظهر أنه تابع في ذلك الحافظ المنذري كما في الترغيب والترهيب حيث عزاه لأصحاب السنن الأربعة، وقد فات الشيخ الألباني رحمه الله التنبيه على ذلك في صحيح الترغيب (٣/١٧٠/٣٠١٠).

٢١٩ . رواه أبو يعلى الموصلي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٠٣/٨٤٩٠): ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن يريم، وهو ثقة، ورواه البزار أيضاً، قال الحافظ المنذري، وابن حجر: إسناده جيد. وصححه الألباني صحيح الترغيب (٣/١٧٢).

٢٢٠ . رواه البزار (٣٥٧٨)، قال الهيثمي في المجمع (٥/٢٠١/٨٤٨٠): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة.وقال المنذري: إسناده جيد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/١٧٠/٣٠١١)

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: ((وَمَنْ أَتَى)) إلى آخره.[٢٢١]

قال البغوي العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.[٢٢٢]

وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.[٢٢٣]

مقصود هذا الباب التحذير من إتيان الكهان، وسؤالهم، وتصديقهم فيما يخبرون، لأن ذلك يُنافي أصل التوحيد، وذلك أن من أصول عقيدة التوحيد التي قررها القرآن: أن الغيب علمٌ لا يعلمه إلا الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]

وفي الباب الوقفات الآتية:

٢٢١ . رواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي (٥/٢٠١/٨٤٧٩): وفيه زمعة بن صالح، وهو ضعيف.

٢٢٢ . شرح السنة للبغوي مع اختلاف واختصار في العبارة (٦/٢٧٧).

٢٢٣ . رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٢٣٩/١٦٥١٤). (أبا جاد) ضَرْب من ضُرُوب السحر والشعوذة يتعلَّق بهيئة معينة للحروف والأعداد عندما تُجْمَع بطرائق مُعَيَّنة يعرفها العاملون لها وعندما يجعلونها على هيئة معينة فإنهم يُرَتّبون عليها أحكاماً من السعادة والشقاوة ومن الفلاح وضده.

الوقفة الأولى: في بيان معنى الكهانة وأنواعها.

الكاهن عام في كل من ادّعى معرفة المغيبات بأي طريقة كانت، والكاهن في الأصل هو من يأتيه الرِّئِيُ من الشياطين المسترقة السمع تتنزل عليهم، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣]، وهذه الآيات متعلقة بما قبلها وهي قوله عَزَّوَجَلَّ لما قال المشركون في رسوله محمد ﷺ إنه كاهن، وقالوا في القرآن كِهانة، وأنه مما يُلقيه الشيطان، فنفى الله تعالى ذلك وبرَّأ رسوله وكتابه مما أفكوه وافتروه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]. [٢٢٤]

والكهانة أربعة أنواع:

النوع الأول: منها ما يتلقونه من الجن، فإن الجن يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام، فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يُلقه في أذن الكاهن فيزيد فيه. فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب،فبقي من استراقهم ما يختطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]

ثانيها: ما يُخبر به الجني من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

ثالثها: ما يستند إلى الظن والتخمين والحدس، وهذا يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

٢٢٤ . انظر: معارج القبول للحكمي (٢/٧١٣).

رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر، وقد يعتضد بعضهم بالزجر والطرق والنجوم، وكل ذلك مذموم شرعاً.[٢٢٥]

الوقفة الثانية: في بيان أقسام الناس في سؤالهم الكهان.

الناس في إتيانهم إلى الكهان على أقسام، ولكل قسم حكمه على النحو الآتي:

أن يسأل الكهان بدون تصديق، فهذا حرام، ولا تقبل منه صلاة أربعين يوماً لقوله ﷺ: ((**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**)).

أن يسأل الكهان ويصدقهم في قولهم، فهذا كفر بالله تعالى، لأن تصديقهم في ادعاء الغيب تكذيب للقرآن، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، ولقوله ﷺ: ((**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ﷺ)).

أن يسأله ليُظهر كذبه وعجزه، فهذا جائز أو مندوب، كما فعل النبي ﷺ مع ابن صياد اليهودي.

الوقفة الثالثة: في بيان حكم الكاهن.

الكاهن كافر بالله، وقد ذكر العلامة الحكمي عشرة أوجه في أسباب كفر الكاهن، وهي:

٢٢٥ . فتح الباري لابن حجر (٢٢٧/١٠).

الأول: كون الكاهن ولياً للشيطان، فلم يوحي إليه الشيطان إلا بعد أن تولاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، والشيطان لا يتولى إلا الكفار ويتولَّونه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهذا وجهٌ ثانٍ.

والثالث: قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾، أي نور الإيمان والهدى ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أي ظلمات الكفر والضلالة. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، وهذا وجهٌ رابع.

والخامس: تسميتُه طاغوتاً في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، نزلت في المتحاكمين في كاهن جهينة؛ وقوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي بالطاغوت، وهذا وجهٌ سادس.

والسابع: أن من هداه الله للإيمان من الكهان كسواد بن قارب ﷺ لم يأتِه رِئيُّه بعد أن دخل في الإسلام، فدل أنه لم يتنزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتوليه إياه.

الثامن: وهو أعظمها تشبُّهه بالله ﷻ في صفاته ومنازعته له تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون سواه، فلا سَمِيَّ له ولا مشارك ولا مضاهي: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]

التاسع: أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رُسُلَه.

العاشر: النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول، فكيف به هو نفسه فيما ادّعاه.[٢٢٦]

٢٢٦ . انظر: معارج القبول (٧١٦-٧١٨).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عن جابر أن رسول الله ﷺ سُئل عن النُشرة، فقال: ((هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال: سُئل أحمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله.[٢٢٧]

وللبخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يُؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يُريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم يُنه عنه. انتهى.[٢٢٨]

ورُوى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.[٢٢٩]

قال ابن القيم رحمه الله: النُشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يُحب فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النُشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز.[٢٣٠]

---

٢٢٧ . رواه الإمام أحمد وأبو داود(٣٨٦٢)، واللفظ له. قال ابن مفلح في آدابه (٦٣/٣): إسناده جيد، وحسنه الحافظ في الفتح (٢٤٤/١٠)

٢٢٨ . هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه، ك/الطب، باب هل يستخرج السحر؟ قال الحافظ ابن حجر (٢٤٤/١٠): وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن، من طريق أبان العطار عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ: يلتمس من يداويه، فقال: إنما نُهي عما يضر ولم ينه عما ينفع.وأخرجه الطبري في التهذيب من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب.

٢٢٩ . ذكر الإمام ابن مفلح في الآداب(٦٤/٣) أن ابن الجوزي ذكره في جامع المسانيد عنه بلفظ: لا يطلق السحر إلا ساحر.

٢٣٠ . أعلام الموقعين لابن القيم (٤٨٨/٤).

مقصود هذا الباب بيان ما يجوز من النشرة، وما يحرم منها، لأن في بيان ذلك حماية للتوحيد من الزوال أو النقص، وهذا واجب أهل العلم والدعاة، أن يُبينوا للناس كيف يصونوا عقائدهم من أمور تُنافيه، أو تُؤثر على كماله.

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان معنى النشرة.

النُشْرَة بالضم: ضرب من الرقية والعلاج يُعالج به من كان يُظنُ أن به مساً من الجن سميت نُشْرَةً، لأنه يُنشَّرُ بها عنه ما خامره من الداء، أي: يُكشف ويزال.[٢٣١]

ومن أنفع علاجات السِّحر: الأدوية الإلهية، بل هى أدويتُه النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السُّفلية، ودفعُ تأثيرها يكون بما يُعارِضُها ويُقاومها من الأذكار، والآيات، والدعواتِ التى تُبْطِلُ فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشدّ، كانت أبلغَ فى النُّشْرةِ، وذلك بمنزلة التقاءِ جيشين مع كلِّ واحدٍ منهما عُدَّتَه وسلاحَه، فأيُّهما غلب الآخر، قهره، وكان الحكم له، فالقلبُ إذا كان ممتلئاً من الله مغموراً بذكره، وله من التوجُّهات والدعوات والأذكار والتعوُّذات وردٌ لا يُخِلُّ به يُطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا مِن أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السِّحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يُصيبه.[٢٣٢]

٢٣١ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٦/٥).
٢٣٢ . زاد المعاد لابن القيم (١٢٥/٤).

الوقفة الثانية: في بيان حكم حل السحر بسحر مثله.

الذهاب للسحرة بقصد حلّ السحر عن المسحور أمر محرم، ودليل تحريم ذلك ما يلي:

أولاً: أن حل السحر بسحر مثله من عمل الشيطان كما ثبت من حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة فقال: ((**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**)).

ثانياً: أن مجرد الذهاب للسحرة كبيرة من كبائر الذنوب، وتصديقهم يُعد كفراً بالله تعالى، قال عبدالله ابن مسعود ﷺ: من أتى عرافاً، أو ساحراً، أو كاهناً، فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.[٢٣٣]

وهذا وإن كان موقوفاً على ابن مسعود إلا أن له حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ.

أما كلام ابن المسيب رحمه الله فجوابه: أنه يُحمل على نوع من النُشرة التي ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله.

أما أن يُحمل كلام ابن المسيب رحمه الله على أنه يُفتي بجواز قصد الساحر الكافر المأمور بقتله، ليعمل السحر، فلا يُظن به ذلك حاشاه منه، ويدل على ذلك قوله: إنما يريدون به الإصلاح، فأي إصلاح في السحر؟ بل كله فساد وكفر، والله أعلم.[٢٣٤]

---

٢٣٣ . رواه البزار وأبو يعلى قال المنذري: بإسناد جيد موقوفا. وصححه موقوفاً الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٤٨).

٢٣٤ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٣١٠).

بَابُ: مُا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا عَدْوَىٰ, وَلَا طِيَرَةَ, وَلَا هَامَةَ, وَلَا صَفَرَ**)) أخرجاه، زاد مسلم: ((**وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ**)).[٢٣٥]

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**))، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: ((**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**)).[٢٣٦]

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ

---

٢٣٥ . صحيح البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠). قوله: ((لا هامة)) فيه أقوال: فقيل: معناه: أن العرب كانت تقول إن عظام الموتى تصير هامة، فتطير، فيقولون: لا يُدفن ميت إلا ويخرج من قبره هامةٌ، وكانوا يسمون ذلك الصدى، ومن ذلك تطيُّر العامةِ بصوت الهامة فأبطل الشرع ذلك.
وقيل: كان أهل الجاهلية يقولون إذا مات الرجل خرجت من رأسه هامة، فقال النبي ﷺ: ((لا هامة)) أي: لا يخرج من رأسه هامة.
وقيل: كانت العرب تقول، إن الرجل إذا قُتل خرج من رأسه طائر يزقو فلا يسكت حتى يُقتل قاتله.
وقوله: ((ولا صفر)) فيحتمل معناه ثلاثة أوجه:
الأول: أن العرب كانت تقول إن الصَّفَر حية تكون في البطن تصيب الإنسان والماشية، تؤذيه إذا جاع، وهي أعدى من الجرب عند العرب، فأبطل الشرع أنها تعدي، وهذا القول مروي عن ابن عيينة، والإمام أحمد وغيرهما من المتقدمين. ولكن لو كان كذلك لكان هذا داخلاً في قوله: ((لا عدوى)).وقد يقال: هو من باب عطف الخاص على العام، وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوى.
الثاني: أراد به النسيء، الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر، وهذا قول الإمام مالك.
الثالث: إن أهل الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر، فأبطل النبي ﷺ ذلك، قال الحافظ ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما نهى عن السفر فيه.
وقوله: ((ولا غول)) الغول أحد الغيلان، قيل: أنه جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغُول في الفلاة تتراءى للناس فتتغوّل تغوُّلاً: أي تتلون تلوناً في صور شتَّى، وتغُولهم أي: تُضلهم عن الطريق وتُهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله.
وليس قوله: ((لا غول)) نفياً لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: ((لا غُول)) أنها لا تستطيع أن تضل أحداً، يدل على أن هذا هو المراد حديث: ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)) أي: ادفعوا شرها بذكر الله تعالى.
انظر: شرح السنة للبغوي (٦/٢٦٧)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٣٣، ٥٥)و(٥/١٠٧)، التمهيد لابن عبد البر (١٥/٤١٤)، لطائف المعارف لابن رجب(١٤٨).

٢٣٦ . صحيح البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (١١٢/٢٢٢٣).

فقال: ((أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)).[٢٣٧]

وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: ((الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ)) وَمَا مِنَّا إِلَّا... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ. رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.[٢٣٨]

ولأحمد من حديث ابن عمرو: ((مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ))، قَالُوا: وَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: ((يَقُولُ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا غَيْرُكَ)).[٢٣٩]

وله من حديث الفضل بن عباس: ((إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ)).[٢٤٠]

مقصود الباب التحذير من الطيرة لأنها تُنافي كمال التوحيد، وهذه الظاهرة التي قلّ أن يسلم منها مجتمع، قديماً وحديثاً، فقد كان بنو إسرائيل يتطيرون بموسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]

---

٢٣٧ . سنن أبي داود (٣٩١٩)، من طريق عروة بن عامر. وقد أعل هذا الحديث بثلاث علل:
الأولى: حبيب بن أبي ثابت، وهو كثير التدليس، وقد عنعنه. قال ابن حجر في التقريب(٢١٨): ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس.
الثانية: الاختلاف في صحبة عروة بن عامر.قال المنذري: وعروة هذا قيل فيه القرشي، وقيل فيه الجهني، حكاهما البخاري. وقال أبو القاسم الدمشقي: ولا صحبة له تصح.وذكر البخاري وغيره أنه سمع من ابن عباس، فعلى هذا يكون الحديث مرسلاً.قاله في عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٠/٢٩٥). قال ابن حجر في الاصابة(٤/٤٠٥): وقد جزم أبو أحمد العسكري بأن رواية عروة هذه عن النبي ﷺ مرسلة، وكذلك البيهقي في الدعاء.
الثالثة: الانقطاع، قال الحافظ ابن حجر تهذيب التهذيب (٣/٩٥): والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة.والحديث ضعفه الألباني في تحقيقه للكلم الطيب (١٨٢). وصححه النووي في رياض الصالحين برقم (١٦٧٧).
٢٣٨ . سنن أبي داود (٣٩١٠)، والترمذي وصححه (١٦١٤)، وابن حبان (٦١٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٩٨).
قوله: ((وما منا إلا ولكن الله يُذهبه بالتوكل))، قال البخاري: قال سليمان بن حرب: ليس من قول الرسول ﷺ وكأنه من قول ابن مسعود.
٢٣٩ . المسند وصححه الشيخ أحمد شاكر (١٢/١٠/٧٠٤٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٥).
٢٤٠ . المسند (١٨٢٤) قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لانقطاعه.

وقد كانت المجوس أكثر الناس طيرة، وكانت العرب إذا أرادت سفراً نفَّرت أوَّل طائر تلقاه، فإن طار يمْنة سارت وتيمنت، وإذا طار يسرة، رجعت وتشاءَمت، فنهى النبي ﷺ عن ذلك وقال: ((أَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مُكُنَاتِهَا)).

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الطيرة.

الطِّيرة: هي التشاؤم بالشيء، وأصل الطيرة: التطير بالسوانح، وهو ما ذهب ناحية اليمين، والبوارح، وهو ما ذهب ناحية اليسار، من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصد أهل الجاهلية عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ.

ومع أن النهي عن التطير من الأمور المعلومة عند عامة الناس إلا أنك ترى مشاهد الطيرة في كثير من الأحيان، فبعض الناس عندما يرى من لا يحب رؤيته صباحاً تشاءم وظل يتوقع أمراً سيئاً سيقع. وأحياناً تسمع أو ترى بعض من شرع في السفر، وبمجرد أن يرى شيئاً يفزعه، أو حصل للسيارة عطل بسيط أو نحو ذلك، تشاءم وقال: هذا السفر سفر شؤم ورجع من حيث أتى.

الوقفة الثانية: في بيان أثر التطير والتشاؤم على العقيدة.

إن خطر الطيرة على التوحيد عظيم، فالتطير والتشاؤم منافٍ للتوحيد وكماله، وذلك أن الطيرة تنافي التوحيد وكماله من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره، وكفى بهذه بلية ورزية فمن تعلق بشيء غير الله تعالى وكله الله إلى ذلك الشيء، كما في المسند والترمذي من حديث عبدالله بن عُكيم ﷺ مرفوعاً: ((**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**)).[٢٤١]

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، فأي رابطة بين تلك الأمور التي يتطير منها بعض الناس وبين ما يحصل لهم، وهذا لا شك أنه مخل بالتوحيد.

والدليل على أن الطيرة لا حقيقة لها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**)).[٢٤٢]

روى الخلال عن طاووس رحمه الله: أن رجلاً صَحِبه، فصاح غراب، فقال: خير خير. فقال له طاووس: وأي خير عند هذا وأي شر؟ لا تصحبني.

والمتطير إنما يتطير خوفاً على نفسه، فهو يتشاءم لحماية نفسه، وقد ورد عن النبي ﷺ ما يفيد عكس ذلك، وأن المتطير إنما يضر نفسه بهذه الطيرة، ففي صحيح ابن حبان عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا طِيَرَةَ، وَالطِّيَرَةُ عَلَى مَنْ تَطَيَّرَ**)).[٢٤٣]

قال النخعي رحمه الله: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لا تضر الطيرة إلا من تطير.

---

٢٤١ . رواه أحمد في المسند (١٨٩٨٨)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٧٥٠٣)، وحسنه الشيخ الألباني في غاية المرام (١٤٧).
٢٤٢ . صحيح البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).
٢٤٣ . موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (١٤٢٨)، وحسنه الألباني برقم(١١٩٥).

ومعنى هذا: أن من تطير تطيراً منهياً عنه، وهو يعتمد على ما يسمعه، أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريد من حاجته، فإنه قد يُصيبه ما يكرهه، وأما من توكل على الله ووثق به، بحيث علَّق قلبه بالله خوفاً ورجاءً، وقطعه عن الالتفات إلى هذه الأوهام المخوفة، وقال ما ورد عن النبي ﷺ، ومضى فإنه لا يضره ذلك.

والواجب على المؤمن والمؤمنة التوكل على الله جل وعلا، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك، وكما قيل:

الوقفة الثالثة: في بيان حكم الطيرة.

ذكر غير واحد من أهل العلم أن الطيرة من كبائر الذنوب، لثبوت الوعيد في ذلك.

و الوعيد عن النبي ﷺ في حق من وقع في الطيرة ثابت في أحاديث، منها:

١. أن الطيرة شرك، كما في حديث الباب أن النبي ﷺ قال: ((**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**)). والشرك أعظم الذنوب على الإطلاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، ورسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**)).[٢٤٤]

٢. أن النبي ﷺ تبرأ ممن تطَّير، وكما في قوله ﷺ: ((**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ**)). ومعناه: ليس يفعل ذلك من هو من أشياعنا العاملين باتباعنا المقتفين لشرعنا.

٢٤٤ . صحيح البخاري (٤٤٩٧)، ومسلم (٩٢/١٥٠).

٣. أن المتطير لن ينال الدرجات العُلى يوم القيامة، عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَنْ يَنَالَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ اسْتَقْسَمَ أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرًا**)).[٢٤٥]

وقد بيّن أهل العلم أن حكم الطيرة يختلف باختلاف أحوال الشخص المتطير، وذلك أن المتطير لا يخلو من ثلاثة أحوال:

الأول: أن يمضي ولا يلتفت إلى شيء من ذلك، فهذا لا يضره، وعليه يحمل قول ابن مسعود ﷺ: وما منَّا إلا -يعني تعرض له الطيرة-، ولكن الله يُذهبُه بالتوكل.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم، وغم، يخشى من تأثير هذا المتطير به، وهذا مكروه، ولكنه لا يدخله في حدِّ الشرك.

الثالث: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة، ويدع العمل، فهذا شرك، لحديث عبدالله ابن عمرو ﷺ عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: ((**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ**)) ، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟، قَالَ: ((**أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**)).[٢٤٦]

الوقفة الرابعة: في بيان هدي النبي ﷺ لمن وقع في شيء من التطير.

لاشك أن كل من أراد السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة فعليه بالتمسك بهدي النبي محمد ﷺ، الذي كان لا يتطير ولا يتشاءم، كما قال بريدة ﷺ.[٢٤٧]

٢٤٥ . رواه الطبراني بإسنادين رواة أحدهما ثقات، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٣٠٤٥).
٢٤٦ . المسند وصححه الشيخ أحمد شاكر (١٢/١٠/٧٠٤٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٥).
٢٤٧ . رواه أبو داود (٣٩٢٠) وإسناده صحيح كما قال النووي في رياض الصالحين برقم (١٦٧٦).

ويتلخص الهدي النبوي في أمر الطيرة بالآتي:

١. التوكل على الله تعالى وعدم الالتفات للطيرة، وحقيقة التوكل على الله تعالى: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه ﷻ في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم، وهذا الاعتماد، والثقة، فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله تعالى له ووعدِه للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وُكِلَ إليه وخاب أمله، نعوذ بالله من الخذلان.

٢. المضي وعدم التأثر بالطيرة، الطيرة لا تضر ولا تنفع، روى الإمام أحمد عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً فبرح بي ظبي -يعني: جرى ناحية اليسار- فمال في شقه، فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله تطيرت. قال: ((**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**)).[٢٤٨]

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: منا رجال يتطيرون، قال: ((**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ** - وفي رواية - **فَلَا يصُدَّنَّكُم**)).[٢٤٩]

٣. الإتيان بالكفارة، والكفارة هي قول ما ورد عن النبي ﷺ من الأدعية في حق من وقع في الطيرة، أو عرضت له، وقد جاء ذكرها في حديثين:

الأول: قول: ((**اللَّهُمَّ لَا خَيرَ إِلَّا خَيرُكَ، وَلَا طَيرَ إِلَّا طَيرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيرُكَ**)).[٢٥٠]

ومعناه: إعلان العبد أنه متوكل على ربه تعالى، واعترافه بأن الطير خلق مسخر

٢٤٨ . المسند (١٨٢٤).
٢٤٩ . مسلم (٢٥٣٧).
٢٥٠ . المسند وصححه الشيخ أحمد شاكر (١٢/١٠/٧٠٤٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٥).

مملوك لله تعالى، لا يأتي بخير ولا يدفع شراً، وأنه لا خير في الدنيا والآخرة إلا خير الله تعالى، فكل خير فيهما فهو من الله تعالى تفضلاً على عباده وإحساناً إليهم، فله الحمد كله،وإليه يُرجع الأمر كله.

الثاني: قول: ((**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**)).[٢٥١]

٤. التفاؤل، فالنبي ﷺ كان يحب التفاؤل وهذا من حسن ظنه ﷺ بربه جل وعلا، روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع يا راشدُ يا نجيحُ.[٢٥٢]

فعلى المؤمن ألا يظن بربه إلا خيراً، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**))، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: ((**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**)).[٢٥٣]

ومعنى التفاؤل، مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من الكلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالبُ ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأُ من مرضه، ويجدُ ضالته، ونحو ذلك.

---

٢٥١ . سنن أبي داود (٣٩١٩)، وصححه النووي في رياض الصالحين برقم (١٦٧٧).

٢٥٢ . الترمذي (١٦١٦)، وقال: حسن غريب.

٢٥٣ . صحيح البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٣/١١٢).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. انتهى.[٢٥٤]

وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ : مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**)) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.[٢٥٥]

مقصود هذا الباب ذكر ما يجوز من علم النجوم، وما لا يجوز، وما ورد فيه من الوعيد.[٢٥٦]

والتنجيم، أصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وغيرها، فتقول: إذا طلع النجم حلَّ عليك مالي: أي الثريا، وكذلك باقي المنازل.[٢٥٧]

---

٢٥٤ . هذا الأثر علقه البخاري، ك/بدء الخلق، باب في النجوم.قال ابن حجر في الفتح: وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه به. (٦/٣٤١).

٢٥٥ . رواه ابن حبان (٥٣٤٦)والحديث فيه مقال، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٦٧٤/٢٥٣٩).

٢٥٦ . تيسير العزيز الحميد (٣٢٧).

٢٥٧ . النهاية لابن الأثير (٥/٢١).

قال شيخنا العثيمين رحمه الله: التنجيم تفعيل من النجم، ومعنى نجم، أي: تعلم علم النجوم، أو اعتقاد تأثير النجوم.

وعلم التنجيم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم التأثير.

والثاني: علم التسيير.

- **أما القسم الأول**: وهو علم التأثير، فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر، وكفر بإجماع المسلمين.

الثاني: أن يجعل هذه النجوم سبباً يُدعى به علم الغيب، فيُستدل بحركاتها، ومنازلها، واجتماعها وافتراقها على أنه سيحدث كذا وكذا.

قال الشيخ سليمان: اختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك، وينبغي أن يُقطع بكفره لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه. وهو اختيار شيخنا العثيمين رحمه الله.

الثالث: أن يعتقدها سبباً لحدوث الخير والشر، فهذا شرك أصغر، أي أنه إذا وقع شيء نسبه للنجوم ولا ينسب للنجوم شيئاً إلا بعد وقوعه.

- **القسم الثاني**: علم التسيير، وهو: علم يستدل به على الجهات، والأوقات، فهذا جائز، وقد يكون واجباً كما قال الفقهاء.

قال العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: [٢٥٨]

علم النجوم على العقول وبال ... وطلابُ شيءٍ لا ينال ضلال

هيهاتَ ما أحدٌ مضى ذو فطنةٍ ... يدري متى الأرزاقُ والآجالُ

إلا الذي هو فوقَ سبعِ سمائه ... ولوجهه الإعظامُ والإجلالُ

٢٥٨ . انظر: مختصر الفتاوى المصرية (٢٩٧/١) تيسير العزيز الحميد (٣٢٧)، معارج القبول للحكمي (٢م٧٠١)، القول المفيد لشيخنا العثيمين (١٠٤.١٠٢/٢)، المجموع الثمين من فتاوى الشيخ العثيمين (١٤١/٢)، الآداب الشرعية لابن مفلح (٤١٩/٣).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الإِسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ))

وَقَالَ: ((النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ)) رواه مسلم.[٢٥٩]

ولهما عن زيد بن خالد ﷺ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟)) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)).[٢٦٠]

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا، وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.[٢٦١]

مقصود هذا الباب التحذير من الإستسقاء بالأنواء، وبيان أنه من أفعال الجاهلية التي تنافي التوحيد.

---

٢٥٩ . صحيح مسلم (٢٩/٩٣٤).

٢٦٠ . صحيح البخاري (١٠٣٨)، مسلم (١٢٥/٧١).

٢٦١ . هذا الحديث انفرد به مسلم في صحيحه برقم (١٢٧/٧٣).

والإستسقاء: استفعال من السقيا، أي طلب إنزال الغيث على البلاد والعباد.

والأنواء على الحقيقة النجوم التي هي منازل القمر، وهي ثمان وعشرون منزلة، يبدو لعين الناظر منها أربعة عشر منزلاً، ويخفى أربعة عشر، فكلما غاب منها منزل بالمغرب طلع رقيبه بالمشرق، فليس يعدم منها أربعة عشر للناظرين أبداً في السماء، وإذا لم ينزل مع النوء ماء، قيل: خوى النجم وأخوى، وخوى النوء وأخلف.

وأما العرب فكانت تضيف المطر إلى النوء، وهذا عندهم معروف مشهور في أخبارهم وأشعارهم، فلما جاء الإسلام نهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك، وأدبهم وعرفهم ما يقولون عند نزول المطر، وذلك أن يقولوا: مطرنا بفضل الله ورحمته، ونحو هذا من الإيمان والتسليم لما نطق به القرآن. [٢٦٢]

ولا شك أن الإستسقاء بالأنواء أمر محرم، وهو من الأفعال التي تنافي التوحيد.

وقد قَسَّمَ أهل العلم الإستسقاء بالأنواء من جهة أثره على التوحيد إلى قسمين:

- **الأول**: ما يُعد شركاً أكبر، وهذا له صورتان:

إحداهما: أن يدعو الأنواء بالسقاء، كأن يقول: يا نوء كذا أسقنا؛ ووجه كونه شركاً أكبر أنه دعا غير الله تعالى،وهذا هو حقيقة الشرك في الإلهية.

والصورة الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إليها على أنها فاعلة بنفسها دون الله تعالى، وهذا هو حقيقة الشرك في الربوبية.

- **والقسم الثاني**: ما يُعد شركاً أصغر، وهو اعتقاد كون الأنواء سبب لحصول الأمطار، مع اعتقاد أن المدبر والمتصرف هو الله جل وعلا؛ وهذا ما حصل من بعض الصحابة عندما قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا، بدليل الإتيان بباء السببية.

٢٦٢ . التمهيد لابن عبد البر (٣٣٧/٥)، وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٤٢/٢).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية.

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) أخرجاه.[٢٦٣]

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)).[٢٦٤]

وفي رواية: ((لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى...)) إلى آخره.[٢٦٥]

---

٢٦٣ . صحيح البخاري (١٥)، ومسلم (٧٠/٤٤).
٢٦٤ . صحيح البخاري (١٦)، ومسلم (٣١).
٢٦٥ . صحيح البخاري (٦٠٤١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً. رواه ابن جرير.[٢٦٦]

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] قال: المودة.[٢٦٧]

مقصود هذا الباب التنبيه على وجوب محبة الله تعالى، إذ أن محبة الخالق جل وعلا هي أصل دين الإسلام، الذي تدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان.[٢٦٨]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة: إما عن محبة محمودة، وإما عن محبة مذمومة.[٢٦٩]

قال أيضاً: محبة الله ورسوله على درجتين: واجبة وهي محبة المقتصدين. ومستحبة وهي درجة السابقين.

فالأولى: تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، بحيث لا يحب شيئاً

٢٦٦ . رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٩٦/٤٠٦/١)، وابن المبارك في الزهد (٣٥٣/١٢٠/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٧٠). وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، مختلط. ولم أجده في تفسير ابن جرير الطبري، ولعل المصنف رحمه الله تبع الحافظ ابن رجب حيث عزاه في جامع العلوم والحكم إلى ابن جرير ومحمد بن نصر المروزي. انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٢٥/١).

٢٦٧ . رواه الحاكم في مستدركه (٣٠٧٦)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠٠/١١).

٢٦٨ . تيسير العزيز الحميد (٣٤٦).

٢٦٩ . مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٨/١٠).

يبغضه، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى، وبغض ما حرمه الله تعالى، وذلك واجب. فإنّ إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أحبه، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى عنها، وذلك مستلزم لبغضها التام.

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: ٣٦]

وأما محبة السابقين بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه.[٢٧٠]

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: الواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه اللهُ محبةً تُوجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه، كان ذلك فضلاً، وأن يكره ما كرهه الله كراهةً توجب له الكف عما حرم عليه منه. فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيهاً، كان ذلك فضلاً. والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة في حبِّ المحبوبات،وبغض المكروهات.[٢٧١]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كثيراً من أهل البدع والشركيات يتذرعون بالمحبة، وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا بدافع المحبة، فكان في بيان النصوص الشرعية المتعلقة بالمحبة من الأمور التي تُظهر الحق للناس وتجليه، وتقطع الطرق الموصلة للشرك من الأهمية بمكان.

٢٧٠ . قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٦٤).
٢٧١ . انظر: جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب (٢/٣٩٥).

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان معنى المحبة وأنواعها.

المحبة لا تحد بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة.[٢٧٢]

والمحبة تنقسم إلى قسمين: محبة عبادة، ومحبة طبيعية.

فأما محبة العبادة، فهي تنقسم إلى أربعة أقسام:

وقد نبه الإمام ابن القيم على أهمية العلم بأنواع المحبة فقال:

وهاهنا أربعة أنواع من المحبة، يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها.

أحدها: محبة الله تعالى، ولا يكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب، واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحب الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة، وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي لوازم محبة ما يحب، ولا تستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب مع الله لا لله، ولا من أجله، ولا فيه، فقد اتخذه ندًّا من دون الله، وهذه محبة المشركين.[٢٧٣]

---

٢٧٢ . مدارج السالكين (٣/١١).

٢٧٣ . الجواب الكافي لابن القيم (١٩٩).

والأصل في إثبات هذا النوع من المحبة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

ولأهل العلم في تفسير هذه الآية قولان مشهوران:

الأول: أن أصحاب الأنداد يحبون أندادهم كما يحبون الله. فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أنداداً، وهذ ا اختيار الزجاج، وابن تيمية، وابن القيم رحم الله الجميع.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله. ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم، وهذا قول ابن عباس وجماعة من السلف واختاره الفراء وابن جرير الطبري.[٢٧٤]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذُمُوا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة، ولم يخلصوا لله كمحبة المؤمنين له.

وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم، وهم في النار يقولون لآلهتهم وأندادهم، وهي مُحضرة معهم في العذاب: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم في المحبة والتعظيم. وهذا أيضاً هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] أي: يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم، وهذا أصح القولين.[٢٧٥]

٢٧٤ . انظر: تفسير ابن جرير (٢/٧١)، و زاد المسير (١/١٧٠)، بدائع التفسير (١/٢٧٢).
٢٧٥ . مدارج السالكين لابن القيم (٣/٢٢). وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/١٧٠).

وأما المحبة الطبيعية، فهي ثلاثة أقسام:

الأول: محبة إجلال وإعظام، كمحبة الولد لوالده.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد للولد.

الثالث: محبة مشاكلة واستحسان، كمحبة الناس بعضهم بعضاً.[٢٧٦]

الوقفة الثانية: في بيان أسباب محبة الله تعالى.

الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنُّم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

٢٧٦ . انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (١/ ٢٨٠).

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها.

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة برِّه وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبوب إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق.[٢٧٧]

قال شيخ الإسلام: حلاوة الإيمان التي يجدها المؤمن تتبع كمال محبة العبد لله تعالى، وكمال محبة العبد لله تعالى تكون بثلاثة أمور:

---

٢٧٧ . مدارج السالكين لابن القيم (١٨/٣).

تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهية الإلقاء في النار.[٢٧٨]

٢٧٨ . انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٠٦/١٠).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: ((**إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ**)).[٢٧٩]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْه، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاس**)) رواه ابن حبان في صحيحه.[٢٨٠]

---

٢٧٩ . رواه أبو نعيم في الحلية، في ترجمة أبي يزيد البسطامي، وقال : وهذا الحديث مما ركب على أبي يزيد، والحمل فيه على شيخنا أبي الفتح فقد عثر منه على غير حديث ركبه.ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال: محمد بن مروان السدي ضعيف. والحديث ضعيف، قال الشيخ سليمان بن عبدالله في التيسير: إسناده ضعيف، ومعناه صحيح. أما الشيخ الألباني فقال: موضوع.
انظر: الحلية لأبي نعيم (١٠/٤٢/١٤٤٦٠)، شعب الإيمان للبيهقي(١/١٥١). تيسير العزيز الحميد (٣٦٧).السلسلة الضعيفة للألباني (١٤٨٢).

٢٨٠ . موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (٢/٦٦٨/١٥٤٢). وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٢/٥٤٧/٢٢٥٠).

مقصود هذا الباب بيان أن العبادة تقوم على: المحبة والخوف، فبالمحبة يكون امتثال الأمر، وبالخوف يكون اجتناب النهي.[٢٨١]

قال أبو سليمان الداراني: أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلُّ قلبٍ ليس فيه خوفٌ من الله فهو قلبٌ خربٌ.

والخوف: هو اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عَزَّوَجَلَّ.[٢٨٢]

والخوف أربعة أقسام:

الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم، وهو ما يسمى بخوف السر؛ وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه فمن أشرك مع الله غيره، فهو مشرك شركاً أكبر، وذلك مثل أن يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء، ويعتقدون نفعهم وضرهم كما يفعله بعض عباد القبور، يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله. وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن، قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦]

الثاني: خوف يستلزم ترك ما يجب على الإنسان من الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو فعل ما يجب على الإنسان تركه، بغير عذر إلا الخوف من الناس، فهذا محرم، وهو الذي نزلت فيه الآية المترجم لها، وهو الذي جاء فيه الوعيد ففي سنن ابن ماجه وصححه البوصيري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ**))، قَالُوا: كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قَالَ: ((**يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لَا يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا، كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى**)).[٢٨٣]

---

٢٨١ . انظر: القول المفيد لشيخنا العثيمين (٢/١٦٤).

٢٨٢ . مدارج السالكين (١/٥١٠).

٢٨٣ . رواه ابن ماجه (٤٠٠٨).

الثالث: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان، وإنما يكون محموداً إذا لم يُوقع في القنوط واليأس من روح الله، ولهذا قال شيخ الإسلام: هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله،فما زاد فهو غير محتاج إليه.

الرابع: الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو، وسبع، وغرق، ونحو ذلك، فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨][٢٨٤]

٢٨٤ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٦١)، القول المفيد لشيخنا العثيمين (٢/١٦٦).